

تفسير البحر المحيط

@ 233 @ وعمارات حراماً عليها أشد الحرص ، فكانوا أحوج شيء إلى الماء ، وكانوا مدلين بما أوتوا من هذه القوة والبطش والبأس مهئين في كل ناحية . وقيل : أراد القوة في المال ، وقيل : في النكاح . قيل : وحبس عنهم المطر ثلاث سنين ، وعقمت أرحام نسائهم . وقد انتزع الحسن بن علي رضي الله عنه من هذا ومن قوله : ويمدكم بأموال وبنين ، أن كثرة الاستغفار قد يجعله سبباً لكثرة الولد . وأجاب من سأله وأخبره أنه ذو مال ولا يولد له بالاستغفار ، فأكثر من ذلك فولد له عشر سنين . وروى أبو صالح عن ابن عباس في قوله : ويزدكم قوة إلى قوتكم ، أنه الولد وولد الولد . وقال مجاهد وابن زيد : في الجسم والبأس ، وقال الضحاك : خصباً إلى خصبكم ، وقيل : نعمة إلى نعمته الأولى عليكم ، وقيل : قوة في إيمانكم إلى قوة في أبدانكم . .

{ قَالَُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّا رَبُّكَ فَأَعْتَدْنَا عَذَابَ يَوْمٍ } * هُودٍ * مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَا نَرَىٰ جَمْعًا
بِتَارِكِ كَيْدِ الْهَتِينَ عَن قَوْلِكَ وَمَا نَرَىٰ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَرَوْكَ إِلَّا
إِلَّا اءْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُ نَارٍ جَمِيعًا
ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ * مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِيْئَاتٍ هَاهُنَا * إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ *
فَإِنْ { : ببينة أو بحجة واضحة تدل على صدقك ، وقد كذبوا في ذلك وبهتوه كما كذبت قريش
في قولهم : { لَوْ لَا أَنْزَلْنَا آيَاتَهُ مِنْ رَبِّهِ } { وقد جاءهم بآيات كثيرة ،
أو لعمائم عن الحق وعدم نظرهم في الآيات اعتقدوا ما هو آية ليس بآية فقالوا : ما جئنا
ببينة تلجئنا إلى الإيمان ، وإلا فهو وغيره من الأنبياء لهم معجزات وإن لم يعين لنا
بعضها . ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم) : { مَا مِنْ * نَبِيٍّ إِلَّا *
وَقَدْ * أُوتِيَ * مِنَ الْآيَاتِ مَا * مَثَلَهُ * مِنْ * آيَاتِهِ * الْبَشَرِ } وعن
في عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا ، كأنه قيل : صادرين عن قولك ، قاله
الزمخشري . وقيل : عن التعليل كقوله تعالى : { إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّتْهَا
إِيَّاهُ } فتعلق بتاركي ، كأنه قيل لقولك ، وقد أشار إلى التعليل والسبب فيها ابن
عطية ، فقال : أي لا يكون قولك سبباً لتركنا ، إذ هو مجرد عن آية ، والجملة بعدها تأكيد
وتقنيط له من دخولهم في دينه ، ثم نسبوا ما صدر منه من دعائهم إلى الله وإفراجه بالألوهية
إلى الخبل والجنون ، وأن ذلك مما اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبها وحرص على تركها ودعا

إلى ترك عبادتها ، فجعلته يتكلم مكافأة بما يتكلم به المجانين ، كما قالت فريش : معلم مجنون { أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ } واعتراك جملة محكية بنقول ، فهي في موضع المفعول ، ودلت على بله شديد وجهل مفرط ، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم . وقول هود لهم في جواب ذلك : إني أشهد □ إلى آخره ، حيث تبرأ من آلهتهم ، وحرصهم كلهم مع انفراده وحده على كيده بما يشاؤون ، وعدم تأخره من أعظم الآيات على صدقه وثقته بموعد ربه من النصر له ، والتأييد والعصمة من أن ينالوه بمكروه ، هذا وهم حريصون على قتله يرمونه عن قوس واحدة . ومثله قول نوح لقومه : { تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُلُوبِ } و-لا- تَنْظُرُونَ } وأكد براءته من آلهتهم وشركهم ، ووقفها بما جرت عليه عادة الناس من توثيقهم الأمر بشهادة □ وشهادة العباد . .

قال الزمخشري : (فإن قلت) : هلا قيل : إني أشهد □ وأشهدكم (قلت) : لأنَّ إشهد □ على البراءة من الشرك إشهد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد ، وأما إشهدهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب ، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة انتهى . وإني بريء تنازع فيه أشهد واشهدوا ، وقد يتنازع المختلفان في التعدي الاسم الذي يكون صالحاً ، لأن يعملوا فيه تقول أعطيت زيدا ووهبت لعمرو ديناراً ، كما يتنازع اللازم والمتعدي نحو : قام وضربت زيدا . وما في ما تشركون موصولة ، إما مصدرية ، وإما بمعنى الذي أي : بريء من إشراككم آلهة من دونه ، أو